قراءة الخطاب الديني بمنظور الفكر الصوفي عند أدونيس

الطالبة بومعزة هجيرة بإشراف: أ.د. نابي بوعلي/ جامعة معسكر

Hadjirafalsafa@gmail.com

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إيضاح معالم المشروع الفكري الأدونيسي الرامي إلى تقويم مسار الثقافة العربية الإسلامية انطلاقا من بنيتها التحتية، القائمة على الدين كوحي سماوي ، و نظرا لأهمية هذا الأخير يسعى أدونيس للقيام بمقاربة حفرية جينيالوجية بحثا من خلالها عن الآليات الكفيلة بقراءة الخطاب الديني السائد و الذي شهد انحرافات تاريخية شوهت من حقيقة الدين الأصلية ويعتبر في هذا السياق التصوف أحد الآليات التي يعتمدها لتحقيق هذا الهدف.

الكلمات المفتاحية: أدونيس؛ الدين؛ التصوف؛ الظاهر ؛ الباطن؛ التأويل؛ الحقيقة؛ الذات.

Abstract

This study aims to clarify The parameters of intellectual project al adonisi aimed at Islamic Arabic culture course calendar from its infrastructure based on religionas a heavenly Revelation given the importance of the latter seeks Adonis to carry his boat ginaloget fossil, researchers from khlalkha on mechanisms To read the prevailing religious discourse and which marked the historical deviations tarnished by the fact the original debt, weitbr in this context one of the mechanisms adopted by mysticism to achieve this goal.

Keywords:Adonis, Religion; mysticism; Apparent. The subcontractor. Interpretation,Truth,Self

تمثل التجربة الصوفية فكرا وكتابة ، انقلابا معرفيا في تاريخ الفكر العربي الإسلامي[1] فقد تجاوز الصوفي قراءة وتأويلا ظاهر النص و باطنه و بما أن الشريعة قائمة على الظاهر ، فقد تجاوزها هي أيضا إلى الحقيقة هكذا أول الصوفي النص القرآني بحيث خلق منه فضاء يتسع لفضاء تجربته كاشفا في ذلك عن حركية هذا النص وغناه الداخلي لذلك يتخذ أدونيس من هذه التجربة آلية لقراءة الخطاب الديني وتأويله تأويلا يتماشى مع طبيعته و هذه التأويلات الصوفية حركتها إشكالية مركزية هي: كيف يمكن لتجربة الصوفية أن تؤسس لفهم عميق للدين يتجاوز الخطاب الديني السائد حسب أدونيس؟

فهذا هو الأساس من مدارات الخلاف أو الصراع بين التجربة الذاتية والمؤسسة الموضوعية، بين الصوفي و الفقيه والنص نفسه هو مكان الصراع [2] فالمعنى الحقيقي للنص الديني وفق التجربة الصوفية لايقرره شخص معين، بل هو موجود داخل النص و هو في علاقة وجودية متواصلة بين لغة النص و الذات الإنسانية

فالتجربة الصوفية حسب أدونيس تتجاوز الأطر الدينية بالمعنى الحرفي أو المؤسسي، إنها تجربة في الكشف عن الباطن الغيبي وفي التعبير عنه حيث أنها تبحث عن الحقيقة الكامنة في ذلك الباطن الغيبي و التي هي من طور يتجاوز الشريعة و يتجاوز العقل الفقهي أو الشرعي المؤسس على الظاهر[3] فأد ونيس

[1] علي أحمد سعيد اسبر ، الصوفية والسوريالية ، دار الساقي، بيروت، دط، دس، ص 171
[2] المصدر نفسه ، ص 172
[3] علي أحمد سعيد اسبر ، الصوفية والسوريالية ، مصدر سابق، ص 173

من خلال هذا الطرح يدعوا إلى تجاوز الخطاب الديني السائد و القائم على أطر وثوابت كانت نتيجة لفهم كرسه الأوائل أمثال الطبري و ابن حزم و ابن تيمية.

فأدو نيس يرى في الصوفية سبيلا لاختراق العالم المادي لإثبات الذات العميقة ذلك أن لغة التجربة الصوفية تعيد النظر تجاوزيا في لغة السائد الشرعي (الظاهر) تأسيسا للغة الأصل (الباطن)[4] فهي لغة مشبعة بدلالات و إيحاءات روحية تتجاوز المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي

وانطلاقا من هذا تؤسس الصوفية لرفض المؤسسة الفقهية الشرعية وقيمها، وتفترض رفض المؤسسة الدينية الاجتماعية وقيمها.

وهذا يعني أن لغة الخطاب الديني السائد كما يرى أدونيس هي لغة مؤدلجة لا تعبر عن حقيقة النص الديني بل هي تجسيد لفهم ديني معين تابع لمؤسسة فقهية، دون غيرها وهذا ما يجعل من الدين خطابا مقدسا غير قابل للفهم أو التأويل خارج السياق الذي طرح وفهم فيه.

وعليه نصف الصوفية بأنها رفض جذري للتقليد النقلي والعقلي على السواء. وبأنها تدخل الإنسان بدءا من ذلك في مناطق عديدة ومتنوعة، حيث كان هذا التقليد يحرمها أو يحيد عنها أو يكبتها[5].

ترى التجربة الصوفية في المطلق الإلهي معنى يقترن بالمطلق الإنساني أي بصورة الإنسان للكون بدئيا، معنى (إله) وصورة إنسان، من هنا تجاوزت الصوفية التجريد أو التعالي بالمعنى التقليدي الديني،وتغير تبعا لذلك مفهوم العالم،وتغيرت من ضمن هذا المفهوم علاقة الإنسان بالله وعلاقة الله بالعالم [6]

عملت النظرة عند المتصوفة على إجراء مقارنة بين الله والإنسان من ناحية الإطلاق حيث أن صورة الله مقرونة بصورة الإنسان أو تتجلى فيها حيث ألغت عن الله عز وجل صفاته مثل التجرد والتعالي وبذلك حدث هناك تغيير لمفهوم العالم وتغيرت معه عدة مفاهيم من أبرزها علاقة الإنسان بالله بما أن البشر هم مظاهر تتجلى فيهم صفات الله عز وجل سبب نزع صفات الوجودية عند الله عز وجل.

تفتح التجربة الصوفية أفقا للكتابة في قراءتها و فهمها حيث تعطي للنص أبعادا متنوعة يجدر الوقوف عندها و لو بشكل سريع ، ذلك أنها أساسية في إضاءة الدلالة الكيانية للغة و للكتابة معا [7] فمن خلال التجربة الصوفية نستطيع أن نعطي دلالة أوسع و أعمق للدين باعتبار اللغة الصوفية لغة تتجاوز الفهم البشري المخلص إلى كل ما هو روحي و متعالي كما ترى الصوفية إلى النص القرآني على أنه دال لغوي لمدلول هو الوجود الأول رمز و الثاني مرموز إليه ' إنه البرزخ بين الله والإنسان ، بين المطلق و النسبي و الخطاب الديني باعتباره متمثلا في القرآن الكريم هو تجسيد لكلام الله في الأرض و ليس لفهم البشر و بهذا يمكننا فهم الحقيقة الدينية بشكل مواز لمصدرها و غاياتها و الكلمة الإلهية " كن " هي في آن قول و فعل ، فليس الوجود إلا كلمات الله ، هكذا تكون اللغة وجودا و يكون الوجود لغة في الكلمة الإلهية : " كن"

---

[4] المصدر نفسه، ص 175
[5] علي أحمد سعيد إسبر ، الصوفية والسريالية ، مصدر سابق ، ص 176
[6] علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحول ، ج 3 ، مصدر سابق ، ص 10
[7] على احمد اسبر ، النص القرآني وآفاق الكتابة ، مصدر سابق ، ص 30

فاللغة الإنسانية في هذا المنظور منطوقة ومكتوبة ، إنما هي تجل للغة الإلهية أو هي الصورة الظاهرة للغة الإلهية الباطنة و هذا يعني أن النص القرآني يجسد " القول الإلهي " كما هو و بالتالي لايمكن للتأويل الديني أن يؤدلج اللغة و يخرجها عن سياقها الذي وضعت له خاصة من ناحية علاقتها بالخطاب الديني و هكذا يكون للغة الكتاب ظاهر وباطن ، الدلالة في ظاهر اللغة ووضعية عرفية اتفاقية و الدلالة في باطنها ذاتية فهناك تعارض بينهما يزيله الإنسان الكامل [8]

يمثل التصوف الديني القدرة التأويلية للفكر الإنساني في تجاوز ظاهر النص للوصول إلى أعماق أكثر اتساعا وبلوغ حقائق أكثر يقينية ، وفي سبيل ذلك يسعى العارف إلى تجاوز الفعالية العقلية ومدارك المحسوسات المادية بانتخاب ملكات الذوق ومحجات الحدس لاستشراف رؤيته القلبية في معرفة خفايا الكون واكتناه أصل الوجود ،كذلك تتبدى الرؤية الفنية في قدرتها على الحركة في فضاء لازمني أفقه مفتوح دائما نحو انبعاثات مستمرة تردم الهوة بين الواقع المتناهي والإبداع الخلاق.

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن صوفية شعرية جديدة عند أدونيس من خلال هذه الصلة الجوهرية بين الإشراق الصوفي والرؤية الفنية في الحداثة الشعرية، والتي تتعدى الأقفاص العابرة للغة في محاولة الوصول إلى ذلك المعدن اللامرئي للوجود وتلك اللحظة الإكسيرية لنقاء العالم، وهو الذي سعى إلى خلخلة أرض اللغة لكتابة دم الآلة حاملا في مهيض جراحته نبض إرتجافة الإنسان حتى ترن أجراس الكون بصلاة آلام إنسانية عظيمة، وقد جعل من اللغة مدار تحولاته، مغيبا ذاته في حبر المعنى. لملابسة إشعاع لحظة الخلق الشعري المطلق التي تنفرج كانبعاث ضوء موشوري يمتد من محيط العدم حتى سرمد الإحاطة

متقصيا لأقاليم الجهات الشعرية يطالعنا أدونيس كسنديانة ضاربة في عصب الحياة؛ ومتصاعدة بابتهالاتها لتمجيد الإنسان والانتشاء بماء الأساطير في شهوة خالقة، ليعود ويحملنا بموسيقى عبوره الأزرق في انفعالات تشف عن دهش الروح وإستفاقات البدء، هكذا يكون الشعر عند أدونيس كاصطفاء حي لشمس المعنى واجتباء متجدد لمدارات المطلق،وهكذا يمضي رائد الحداثة الشعرية كقارئ نبوي لنص العالم.ولعل هذه الطبيعة الكشفية للفن وهذه الرؤية الكونية لمعطيات الوجود فيه هما ما يفسر لنا لماذا اختار المتصوفة لغة الشعر سبيلا للتعبير عن مواجيدهم العشقية، ولماذا سلك شيوخ العرفان معارج العبارة للإيحاء ببهاء الإشارة التي تتسع إلى ما لانهاية وتبقي النص مفتوحا لفضاءات التأويل.[9]

ويمثل التصوف حالة الإشراق الإنساني وقدرته التنويرية،**فهو أكبر تيار روحي يسري في الأديان جميعها، وبمعنى أشمل يمكن تعريف التصوف بأنه إدراك الحقيقة المطلقة ،سواءا سميت هذه الحقيقة "حكمة " أو" نورا" أو "عشقا أو عدما [10]و يمثل التصوف** حالة الإشراق الإنساني و قدرته التنويرية في مواجهة خفايا الكون وحالة الاغتراب الذي يعيشه الإنسان ككائن متناه يمثل لنداء العود الأبدي المتجدد لعبور العالم كشرخ وجودي هش يعتبره عدما بين أبديتين، على اعتبار أن " **جوهر العالم هو النفس**

[8] على احمد اسبر ، النص القرآني وآفاق الكتابة ، مصدر سابق ، ص31

[9] .www. maaber .org/

[10] أدونيس ، أغاني مهيار الدمشقي ، دار الآداب ، بيروت ، 1988

الرحماني الذي ظهرت فيه صور العالم "[11]وذلك ما يتعدى قدرات المنطق البشري و الإمكانيات العقلية التي تقف على عتبات الحجب ، و تستنفذها ملابسات الحواس ، و على خلاف الرؤية الشعرية للعالم التي تجعل اللامرئي مرئيا ، و تستوطن الشفافية لتقول المابين و تشكل الماوراء و تماهي تحولات الغيب بمكابدات الظهور ." **وقد خبر الصوفية منذ وقت مبكر إمكانات الشعر ، لافي التعبير عن مواجدهم فحسب، بل وفي انتاج معرفة بالوجود و بالإنسان كذلك "**[12]ففي مقابل الوجود المكاني المقيد للإنسان في العالم يكون الشعر كوجود زماني مطلق لروحه الخلاقة ، إنه رقصنا الحلاجي بالسلاسل و كينونتنا المتلاشية في بحر العدم الحي ، حيث يصبح الإنتهاء ابتداء ، والكلمة فيضا نشوريا حتى أبدية الدوائر .

و كذلك جاءت حاجة التصوف إلى الشعر " **تلبية لرغبات مجالس الصوفية التي تتخذ من السماع بابا من أبواب تحقيق اللحظة الصوفية التي ينسى فيها المريد مكانه و زمانه، و يندمج في الزمن الروحي الذي لا تقيده الدقائق و الساعات ، وينخرط في حال الوجد و الهيام "** [13]

فالشعر كإيحاء بالرمز و إيماء بالعبارة يحقق تلك المثنويةالحلولية التي تلج كنه الغرابة ليكون الكاتب كمن يضع قلبه على قبة الكون و يده على الطوفان، لتكون له تلك اللحظة الماسية العابرة لتمظهرات جوهر المعنى و يصل إلى المفرد المتحول بتشكيلات اللغة المتعددة ، كما هي **" النواة الفكرية في النص الأدونيسي التي تتميز برفضها الإكتمال بالتحديد المفاهيمي ، و بقائها مفتوحة لما تستدعيه السيرورة الإنسانية من تأويل يتجدد بتجددها "**[14].

يعتبر أدونيس الشطح سر الصوفي الذي لامفر منه و لايكون إلا بإذاعته فالشاعر يسعى إلى تثبيت الحضور الغائب في سريالية شعرية تبدوا فيها الكلمة إشارة للمعنى و الصورة ، في حين أن الصوفي يسعى إلى ملابسة فيض التجليات و الإمحاء في دهش النشوة فلا تكون الكتابة بالنسبة إليه إلا حجابا آخر من حجب الغيب ، و مساع تتجدد في دوائر الطواف ، حيث يعتبر أدونيس في هذا المقام أن الكاتب إما أن يكون سرياليا أو صوفيا وأن الكتابة ليست إلا محاولة لتخليص الكاتب من اغترابه ، ففي الحالة الأولى يعيشها الصوفي انخطافا و في الحالة الثانية يعيشها السريالي إشراقا ، فالمتصوف مسكون بالغيب و السريالي مسكون بالمجهول ، و الكشف هو أساس الغاية في تجربة كل منهما لذلك تطالعنا العبارة الصوفية المتجذرة في محاق الرؤية و النص السريالي المنفلت من عماء التجربة اللاواعية كهندسة فراغ تشكيلي يصبح فيه التعبير بالصورة و الرمز والإلماح و الإشارة امتدادا لكيان الإنسان واجتراحا لطريقة جديدة في معرفة العالم .

والشاعر له عالمه الخاص بحسب التجربة الصوفية، ليس له ماض، أي بدايته دائمة وهذه البداية جسر يربط بين المرئي وغير المرئي، و بما أن الغاية الكشف عن المجهول فإن الصورة الشعرية ليست تشبيهية تولد من المقارنة بل هي ابتكار تولد من الجمع بين العالمين المتباعدين فيصبحان وحدة و الحب على اختلاف مراتبه هو سبيل العارف للاتحاد بالذات الإلهية حتى كمالها اللانهائي.

---

[11] أدونيس ، أول الجسد آخر البحر ، دار الساقي ، بيروت، 2003
[12] أدونيس ، اهدأ ها ملت تنشق جنون أوليفيا ، دار الساقي ، بيروت ، 2009
[13] أدونيس ، الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت 1985
[14] راما وهبة، الصوفية الجديدة و شعرية العالم عند أدونيس ، الأنبار ، 2017، ص 5

ولعل تأثر أدونيس بالفكر الصوفي هو الأمر الذي جعله يقوم بمقاربة حفرية لبنية الثقافة العربية الإسلامي متقصيا بذلك طبيعة الفكر الديني السائد وواقعه،باحثا عن نقاط الضعف والقوة، ومحللا بذلك أزمة الفكر الإسلامي،ونظرا لهذا يتخذ أدونيس من الصوفية آلية لقراءة الخطاب الديني من صميم الدين نفسه يسعى من خلالها إلى تقويم مسار الثقافة العربية الإسلامية،والعودة بالدين إلى طبيعته الأصلية الديناميكية وإخراجه من طابعه السكوني الثابت في قوالب جامدة ـ

وتحقيقا لهذا الهدف استهل أدونيس نقده لتراث بمساءلة الأصول وفي هذا السياق يميز بين مفهومين أساسيين " الثابت " و" المتحول " فالأول هو الفكر الذي ينهض على النص و يتخذ من ثباته حجة لثباته هو فهما وتقويما و يفرض نفسه بوصفه المعنى الوحيد لهذا النص ، بوصفه استنادا إلى ذلك سلطة معرفية أما المتحول فهو الفكر الذي ينهض أيضا على النص لكن بتأويل يجعل النص قابلا للتكيف مع الواقع و تحدده و أما إنه الفكر الذي لايرى في النص أي مرجعيته و يعتمد أساسا على العقل لا على النقل.[15]

ـ وقد سعى أدونيس من خلال كتابه الثابت والمتحول إلى نقد جذري للثقافة العربية في مختلف أوجهها معتمدا في ذلك على التراث باعتباره أداة وموضوع في الآن نفسه.

ـ وهذا ما يجعله يبدأ من ظهور الإسلام ويتابعه في مراحله الأساسية الأولى كي يتوقف لاحقا أمام ما يدعى عصر النهضة ولأن الحاضر هو الذي قاده إلى معاينة الماضي، فقد أكمل الشاعر في فترات مختلفة نقد [16]الراهن المعيش في جملة بيانات أصدرها في كتاب عنوانه " فاتحة لنهايات القرن العشرين ويعطي أدونيس في بحثه مكانا مميزا لمفهوم "الأصل " الذي سيطر على الثقافة العربية قديما وحديثا.و الأصل هو موقعالبدايات الذي تقاس به الأحوال اللاحقة، الأمر الذي يحدده كاملا و مقدسا.

[17] إن غرض الدراسة كلها هو نقد الثقافة السكونية التي تضع الإنسان العربي خارج الزمن الكوني الذي يعيش فيه[18]و في هذا السياق نجد أدونيس يقول في مؤلفه " الثابت والمتحول " : " بهذا المعنى تحديدا ذهبت في الثابت والمتحول إلى القول إن البنية التأسيسية للمجتمع العربي هي البنية التي غلبت عليه في مساره التاريخي ، وإنها بنية دينية وأردت أن أبين تبعا لذلك أن الثقافة العربية تصدر أساسا عن هذه البنية وأنه لايمكن فهمها بمعزل عن البعد الديني ، ولعل في انفجار اللحظة التاريخية الحاضرة بأسسها واستلهماتها الدينية ما يؤكد وجهة النظر هذه و ما يثبت بالتالي أ ن الرابطة السياسية الاجتماعية في المجتمع العربي لاتزال تتعرض في المقام الأول على أساس ديني ، فالدين كان ولا يزال الطريقة التي يفكر المجتمع العربي الإسلامي نفسه وضعه حاضره ومستقبله وضمن هذا السياق يدعوا أدونيس إلى ضرورة مساءلةالأصول كآلية من آليات قراءة الخطاب الديني ، حيث يقول " إن الخطوة الأولى للفكر العربي الجديد هي مساءلة الأصول ذاتها، ومن ثمة مساءلة القراءات التي قام بها الأوائل في نقد جذري وشامل لمنهجها ولطبيعة معرفتها، تلك هي المسألة المعرفية الأن " [19].

---

[15] علي أحمد سعيد إسبر ، الثابت و المتحول ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1994 ، ص ص 13 14
[16] فيصل دراج ، الحداثة المتقهقرة ، طه حسين و أدونيس ، مؤسسة ناديا للطباعة و النشر ، رام الله ، فلسطين ، د ط ، ص 166
[17] فيصل دراج ، الحداثة المتقهقرة ، طه حسين و أدونيس ، مرجع سابق ، ض 168
[18] علي أحمد سعيد ، الثابت و المتحول ، ج 1 ، مصدر سابق ، ص 32
[19] علي أحمد سعيد ، الثابت و المتحول ، ج 1 ، مصدر سابق ،ص 28

ـ وبالنسبة لأد ونيس مساءلة الأصول تقتضي بالأساس ضرورة العودة إلى تلك الآراء والقراءات التي مثلت الثابت ودلالته في تاريخ الثقافة العربية والإسلامية وهي كالتالي:

/ الطبري: يحدد المعرفة بتحديده التأويل ومجاله حيث يقول " تأويل جميع أي القرآن على أوجه ثلاثة "

أ / أحدها لاسبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه (الروح، المصير ... الخ)

ب / الوجه الثاني هو ما خص الله بعلم تأويله نبيه صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته (وهذا مما يحتاج إليه الناس لكن لاسبيل إليه إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم.

ج / والوجه الثالث منها ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن ' ولذلك علم تأويل عربيته وأعرابه،لاتوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم ومن خلال هذا نفهم أن الحقيقة تقوم على أسس وقواعد ولفهم هذه الحقيقة يجب العودة إلى من لديه الأحقية لتأويلها، وإذا بحثنا عن المؤول العارف فإن الطبري يجيب:

1/ هو الأوضح حجة في ما تأول وفسر مما كان تأويله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون سائر أمته، من أخبار ثابتة عنه، إما من وجه النقل المستفيض أو من وجه الدلالة المنصوبة على صحته " أما الثاني فهو الأصح برهانا في ما ترجم وبين من ذلك ، مما كان مدركا علمه من جهة اللسان إما بالشواهد من أشعارهم السائرة ' وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة ، أما ثالثها فهو الكثر تطابقا مع ما تأول و فسر مع أقوال السلف من الصحابة و الأئمة و الخلف من التابعين وعلماء الأمة[20].

ـ من خلال هذا الكلام يتضح أن المعرفة أساسها النص فهو معيا رها وأساس صحتها، فالكتاب والسنة والآثار هي المرجع الذي نعود إليه لنؤسس معارفنا فهي بنية تأسيسية قائمة على أساس نقلي ثابت ستعيد البحث والنقد العقليين، وهذا ما كان يمثل الخطاب الديني السائد حسب أدونيس. يعرف ابن حزم النص:" هو اللفظ الوارد في القرآن والسنة مبينا لأحكام الأشياء ومراتبها وهو الظاهر وهو ما يقتضيه اللفظ في اللغة المنطوق بها "

يرى ابن حزم أن الحقيقة والمعرفة مرجعيتها مطلقة حيث يرفض تقليد الآراء كلها حتى تلك التي قام بها الصحابة و التابعون و يرى بأن التنازع يجب أن يرد إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر "(سورة النساء ،الآية 59).

ـ يعتبر ابن حزم الأندلسي ثاني معلم من معالم الثبات الديني في سياق الثقافة العربية الإسلامية ' وذلك من خلال تأصيله لمفهوم النص ورفضه بشكل مطلق لتقليد الآراء حتى الواردة عن الصحابة رضوان الله عليهم ومن خلال هذا يمكننا القول أن ابن حزم يقر أن النص سلطة لايمكن للمؤمن تجاوزها أو حتى البحث خارج إطارها

[20] علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول، ج1، مصدر سابق، ص 28

3/ ابن تيمية :يرى أن البدع مشتقة من الكفر فمن يعارض القرآن و السنة بالعقل فإن قوله مشتق من أقوال أهل الضلال فعلم الكلام ذمة الأئمة لاشتماله على معاني باطلة مخالفة للكتاب و السنة وكل ما خالفالكتاب و السنة هو باطل قطعا ذلك أن المعاني الصحيحة ثابتة .

وبهذا يدعوا ابن تيمية إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن والسنة باعتبارهما أصلين ثابتين يحدد كل منهما مختلف المعارف والحقائق للإنسان المسلم ' أما المعرف التي لا تستمد من هذين الأصلين فهي مجرد بدع وضلال كما يمثل ابن تيمية هو الأخر القراءة السائدة للخطاب الديني القائم على ضرورة الرجوع إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

/ السلفية :ترى أن كمال المعرفة في النص و النقل حيث لايوجد للحداثة معنى ولهذا تنتفي الحاجة للفكر و الآخر و الإبداع معا وما يحتاج إليه المجتمع هو جعل الماضي حاضرا ومستمرا[21].

ـ الحقيقة ليست موجودة في العالم أو الإنسان أو الطبيعة بل موجودة في النص ويجب فهم الواقع وفقا للنص والنهضة هي عودة للنص والحقيقة واحدة لاختلاف ولا تعدد.

ـ العقيدة الإسلامية غيبية كانت او دنيوية كاملة ونهائية وهي الحق والحقيقة وبناءا على هذا تتجلى أولية النص وترى أن الدين هو وحي أي كلام الله ليس له ماض أي إنه مما وراء الزمان إذن فلا ينطبق عليه مقولةالتغيير النفي (اللوحالمحفوظ)وهذا النص حضور دائم وكامل ومن هنا رفض التقليد و التجديد فالنص كامل أبدا 1فالمعرفة كاملة لاتكمن في النص والنقل ولا مجال للإبداع حسب موقف السلفية.

ـ أما أدونيس يرى أن التطور في المعرفة الدينية هو تحرك في النور الأصلي ا لشامل نور النص وعلاقة المسلم بالنص هي علاقة الإنسان بذاته وبما فطر عليه وجوديا. هكذا ليس النص (الوحي) تراث وراء المسلم أو ماضي إنما هو حضور مطلق وهو تواصل ووحدة و حضور موحد كما يؤكد أنه ليسعلينا العودة إلى الماضي بل علينا تقويم هذا الماضي جذريا و كليا أي يجب استبصار في حركية التاريخ الثقافي العربي[22]2 يرى ان قراءة النص الديني قراءة إيديولوجية و بذلك تحويله إلى مكان للصراع أي أنها تحوله إلى النص سياسي ' ويصبح النص الديني مكانا لحرب القراءات (التأويلات) كما يقر بقراءة النص الديني الإسلامي قراءة دينية دنيوية بحب الفهم السائد ندرك كيف يتبادل المقدس والدنيوي موقعيهما وكيف يصبح العنف نفسه في بعض الحالات دينيا أو مقدسا.

و في السياق نفسه يشير أدونيس أن الإسلام كان تأسيسا لرؤية جديدة غير أنالثقافة العربية نشأت مزدوجة (جاهليةوإسلام) و بما أن الإسلام هو نهاية أو خاتمة الرؤيا العربية (الإنسانية) للحياة والكون فقد فسرت البداية في ضوء الدين الإسلامي في حين صارت النهاية هي البداية4حيث يرى أن الجاهلية تتقدم الإسلام ظاهريا لكن الإسلام يتقدمها و من هنا لانعرف الإسلام بالجاهلية وإنما نعرف الجاهلية بالإسلام. فالإسلام الذي نعرف به و في ضوئه كل شيء قبله وبعده [23].

---

[21] إبن جزم ،رسائلإبن حزم ، ج4، تح :إحسان عباس ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1961،ص41

[22] علي أحمد سعيد ' الثابت والمتحول ' ج 1 ' مصدر سابق' ص 20

[23] علي أحمد سعيد ، الثابت والمتحول ، ج 1 ، مصدر سابق، ص 21

ـ إ ذا كان الأصل هو الثابت القديم وما يجيء بعده هو المتحول المحدث فإن القضية الأساسية في دراسة الثقافة العربية هي فهم طبيعة العلاقة بين رؤيا الثبات ورؤيا التحول أو طبيعة الصراع بين منحى الإتباع والإبداع، وقد اتخذ هدا الصراع منحى ديني وسياسي حول طبيعة العلاقة بين الدين والعقل والدين والحياة وهذا الصراع منذ عهد الرسول صلى اله عليه وسلم[24]حيث برز اتجاهان الأول يجد في النص الديني و القرشية و بعض الصحابة أساسه و الثاني يجد في الإسلام بذاته أساسه ومنطلقه.

ـ الإسلام هو خاتمة المعرفة ونهاية الكمال وفقا للنظرة التي سادت فالوحي تأسس للزمن وللتاريخ وهو بداية الزمن والتاريخ وهو الزمان كلهالماضي والحاضر والمستقبل فهو الأخير المطلق. فالوحي لا يعرف بالزمان بل الزمان هو الذي يعرف بالوحي فالوحي هو قوة الزمان وليس الزمان قوة الوحي 3والفكرة الدينية أعلى من الزمان فالإسلام لايهرم ولا يشيخ ولايصير ماضيا وإنما حضور مطلق' وصالح لكل زمان ومكان.

فالتاريخ ليس له معنى حقيقي إلا إذا اندرج في الوحي لأن الوحي هو الذي يعطيه أهميته و مكانته وكل من الزمان باعتباره لحظة و المكان باعتباره نقطة فهما متقاطعان ووسيلتانتذكر الإنسان بأن الدنيا فانية وما هي إلا جسر يعبر عليه من الماضي إلى الحاضر و صولا إلى المستقبل و بذلك الزمن محصور في الزمن النبوي الذي يحول المستقبل إلى ماضي فالشيء لايسير نحو المستقبل بل يتذكر المستقبل و بهذا يصبحالمستقبل شكل من أشكال الماضي و يصبح الزمن الشيء الذي يسلبالإنسان ذاتهو حياته و يعتبر انهيار دائم و الشيء الوحيد الذي يضفي عليه قيمة هو العودة إلى الأصل 1[25]حيث يقول الغزالي" لا يتم الدين إلا بالدنيا " و الملك والدين توأمان و على هذا الأساس قامت الحركة الفكرية التي بدأها الشافعي و هيما سمي بتأصيل الأصول حيث كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنهقد صاغها صياغة أولية في رسالته إلى أبي موسى الأشعري حيث قال " الحق قديم ...اعرف الأشباه و الأمثال فقس الأمور عند ذلك إلى أقربها إلى الله و أشبهها بالحق " و يعني هذا القول أمرين الأولان مقياس الحكم في ما ينشا في الحاضر موجود في الماضي و الثانيهو أن العلاقة بين الماضي و الحاضر يجب أن تكون علاقة فرض بأصل و يمكن أن ندرج قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الأمر الثاني " فمن يريد أن يعرف عليه أولا أن يؤمن " فالمعرفة تابعة للدين و هي منبثقة عنه حيث يقول الشافعي " كل متكلم من الكتاب و السنة فهو الحق و ما سواهما هذيان " و يقول ابن تيمية " كلما خالف الكتاب والسنة فهو الباطل قطعا " فالدين مصدر المعرفة الصحيحة و هو مصدر لمعرفة الغيب والعالم[26]و هو قديم إلاهي و القديم الإلاهي واحد لايصح انقسامه أي لايصح أن يرفع من شيء و يترك شيء فيجب أن يؤخذ بكليته و تمامه ووحدته فلا يضاف ولايطرح منه شيء فهو المتحد في ذاته منزه عن الانقسام و التجزئة فهو الذي لايشبهه شيء فهو الأصل الأول الباقي بعد فناء العالم و يعتبر الدين الصورة الكاملة للتعبير عن الأصل في كماله1[27]

---

[24] علي أحمد سعيد ' الثابت والمتحول ' ج 1 ' مصدر سابق' ص 23
[25] مصدر نفسه، ص 27
[26] مصدر نفسه، ' ج 1 ' ص68
[27] مصدر نفسه، ' ج 1 ص72

وفي هذا السياق يدعوا أدونيس إلى ضرورة تجاوز الفهم السائد للدين باعتباره الفهم الذي نقله الأوائل حيث يقول " يفترض بالفكر العربي أن ينتج معرفة حديثة لمجتمع عربي حديث،ويفترض أن يكون هذا الفكر يعرف أن الفهم السائد في هذا المجتمع للمعرفة قديم ' فلماذا لايستطلع أولا الحقل الذي يعمل فيه شأن كل مفكر؟ لماذا لايسأل هل ما يقوله الطبري هو القول السائد صحيح؟ لماذا لا يحرث الحقل المعرفي الذي يعمل فيه بدلا من البقاء على هوامشه وأطرافه ' إهمالا أو تناسيا أو تجنباأو يبني فوق هذا الحقل سقفا لا قاعدة له ولا أعمدة. لماذا لا يبدأ فيقرأ ما قرأه الأوائل مجددا هذا الحقل المعرفي تجديدا كليا[3]. في ضوء هذه المسألة نرى أن البحث العلماني على اختلاف مستوياته وتنوعها في النتاج العربي (التراث) يسلك المسلك نفسه الذي يسلكه البحث الديني ولكن تحت عباءة مختلفة[28] [2]ونسي أن ينجز مقاربةمناقضة في جوهرها لمقاربة الصوفية علما ورسما وإن استعان بمعجمها التقني.

قائمة المصادر و المراجع:

أ ــ المصادر:

-أدونيس، أغاني مهيار الدمشقي ، دار الآداب ، بيروت ، 1988
-أدونيس، أول الجسد آخر البحر ، دار الساقي ، بيروت ، 2003ــ
ــ أدونيس، اهدأ ها ملت تنشق جنون أوليفيا ، دار الساقي ، بيروت ، 2009
ــ أدونيس، الشعرية العربية ، دار الآداب ، بيروت 1985
ــ علي أحمد سعيد إسبر، الثابت و المتحول ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1994
ــ علي أحمد سعيد اسبر، الصوفية والسوريالية، دار السقي بيروت ، د (ط) ، د(س).

- على أحمد أسبر، النص القرآني وآفاق الكتابة،دار الآداب، بيروت، د(ط)، د(س)

ب ــ المراجع:

ــ إبن حزم ،رسائل إبن حزم ،تح :إحسان عباس ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ج،1964

ــ فيصل دراج ، الحداثة المتقهقرة ، طه حسين و أدونيس ، مؤسسة ناديا للطباعة و النشر ، رام الله ، فلسطين ، د ط

-راما وهبة ، الصوفية الجديدة و شعرية العالم عند أدونيس ، الأنبار ، 2017، ص 5 أدونيس ، أغاني مهيار الدمشقي ، دار الآداب ، بيروت ، 1988.

-www. maaber .org

[28] علي أحمد سعيد ' الثابت والمتحول ' ج 1 ' مصدر سابق'